

لفظة (أئمة) في القراءات القرآنية

المقدمة



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الرسل والنبیین، وعلى آل بيته الأطهار الميامين، ورضوان الله تعالى على من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد ...

فإنّ القرآن الكريم عدّ أوثق نص توارثه المسلمون، وتعهدوه بالدراسة والبحث، ولم يحظ كتاب على وجه الأرض بالعناية التي حظي بها القرآن الكريم، ولم تقتصر هذه العناية على المسلمين وحدهم، بل تعدتهم إلى غيرهم نظرًا لأهميته الكبرى وإعجازه الذي بهر العقول، وأمتك الألباب السليمة. وقد تعددت فنونه وعلومه ومن هذه العلوم علم القراءات، تمثل القراءات القرآنية ميداناً رحباً، أو منبعاً معذباً للدراسات اللغوية، فهي ذخيرة لغوية غزيرة العطاء طالما أغنت الدرس اللغوي بمعين ثرّ لا ينضب.

واللغة العربية مدينة بالكثير من أصولها وقواعدها للقرآن الكريم وقراءاته، ولا سيما أنّ نشأة علوم العربية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم، وطريقة قراءة نصوصها نطقاً صحيحاً سليماً، وقد منّ الله عزّ وجلّ عليّ بأن وقع اختياري على بحث ضم بين طياته حديثاً لا يخلو من فائدة عن لفظة (أئمة) وما فيها من قراءات قرآنية، وقام الباحث بمحاولة جادة للوصول إلى القراءة التي هي أولى من غيرها بالاتباع، إذ وردت هذه اللفظة بهزنتين في القرآن الكريم، وقُرئت بهمزة واحدة وتسهيل الثانية، وقد تحامل عدد كبير من العلماء على قراءة تحقيق الهمزتين، وضعّفها عدد منهم، وردّها غيرهم، ولم يجوزها إلاّ الدّزر القليل من العلماء، وبعد البحث والتفتيش توصل الباحث إلى أنّ القراءتين بالاتباع، وعضد ما توصل إليه بأدلة مقنعة بعد أن عرض مواطن ورود اللفظة في القرآن الكريم، ثم بيّن مواقف أصحاب كتب التفسير والقراءات من قراءات هذه اللفظة، ووقف بعدها على جذور مواقفهم هذه عن

طريق الرجوع إلى كتب اللغة، وناقش هذه الآراء في نقاط توخى فيها الدقة والإيجاز غير المخلوبين بعدها أهمّ النتائج التي توصل إليها.

وفي الختام أرجو أن يكون عملي هذا ممّالاً يُنظر إليه بعين الرضا والاستحسان فإن كان هذا حاله فهو بفضل الله وجلّ لعلّ قصدي فيه أو أخفقت فهو من عندي وعذري أنّي بشر أخطئ وأصيب ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الرعد: ١٧].

لفظة (أئمة) في القرآن الكريم وقراءاته

وردت لفظة (أئمة) في القرآن الكريم في خمسة مواضع ، وذلك في :

١. في قوله تعالى: ﴿وَلِإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَلِّتُوا أَيْمَةَ الْكُفْرَانِ لَهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾ [سورة التوبة: ١٢].
٢. في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٣].
٣. في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَتْلُورِينَ﴾ [سورة القصص: ٥].
٤. في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الشِّرْكِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [سورة القصص: ٤١].
٥. في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايُنِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة: ٢٤].

وجميعها وردت في القرآن الكريم بتحقيق الهمزتين ولكن القراء السبعة اختلفوا في قراءة هذه الكلمة، فقرأ ابن كثير (ت ١٢٠ هـ)، وأبو عمرو (ت ١٥٤ هـ)، ونافع (ت ١٦٩ هـ) بروايتهم (هـ)، ورؤي عن نافع (أيمّة) و (أيمّة) و (أيمّة)، وقرأ عاصم (ت ١٢٧ هـ)، وحمزة (ت ١٥٦ هـ)، والكسائي (ت ١٨٩ هـ)، وابن عامر (ت ١١٨ هـ) (أيمّة) بهمزتين^(١). وقيل: الباء في قراءة من خفف مكسورة بكسرة خفيفة^(٢)، وقيل إن ابن كثير وأبا عمرو ومن معهما لم يقرؤا بالياء وإنما بهمزة بين بين^(٣).

موقف علماء التفسير والقراءات من قراءة (أئمة)

تحامل البصريون على قراءة تحقيق الهمزتين أشد التحامل، ومنع عدد منهم القراءة بها، وهذا عرض موجز لمواقف عدد من العلماء من هذه القراءة :

قال الزجاج (ت ٣١١ هـ): ((أكثر البصريين لا يجيزون (أئمة) بهمزتين، وابن أبي إسحاق وحده يجيز اجتماع همزتين، وسيبويه والخليل وجميع البصريين إلا ابن أبي إسحاق- يقولون: أئمة -بهمزة وياء- وإذا كان الهمزتان في كلمة واحدة لم يجيزوا إلا إبدال الثانية في نحو: أئمة وآهموم ن قرأ أئمة لزمه أن يقول في (آدم) ثم؛ لأنه أفعل من الأدمة، وأئمة أفعلولا ينبغي أن تقرأ إلا أئمة لأن م ن حقق الهمزة فيما يجوز فيه تخفيف الهمز أجاز التخفيف، فكذاك هو يجيز التخفيف في أئمة، فتصير قراءة أئمة إجماعاً^(٤)، فهو لا يجيز قراءة تحقيق الهمزتين.

وقال النحاس (ت ٣٣٨ هـ): ((أكثر النحويين يذهب إلى أن هذا لحن لا يجوز؛ لأنه جمع بين همزتين في كلمة واحدة، وزعم أبو إسحاق أنه جائز على بعد^(٥)، فعدّه لحناً عند أكثر النحويين، ونسب إلى أبي إسحاق الزجاج أنه يجيز هذه القراءة على بعد، ونص الزجاج المذكور آنفاً ينفي ما نسبه النحاس.

وقال أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ): ((فالقول فيه: لحن تحقيق الهمزتين فيها ليس بالوجه، ومما يُضعف الهمزتين لئلا نعلم أحداً حكى التحقيق فيهما في آدم وآزر، وآخر، ونحو هذا. فكذاك ينبغي في القياس أن يكون (أئمة))^(٦)، فعد تحقيق الهمزتين خروجاً عن القياس. تلوع ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) شيخه أبا علي الفارسي إذ عد القراءة بتحقيق الهمزتين قراءة شاذة^(٧).

وقال القرطبي (ت ٦٧١ هـ): ((وقرأ حنفة أئمة) أكثر النحويين يذهب إلى أن هذا لحن؛ لأنه جمع بين هؤنيتين في كلمة واحدة^(٨)، وموقفه هذا قريب من موقف النحاس.

وقال أبو السعود (ت ٩٨٢ هـ): ((وقرأ أئمة) بتحقيق الهمزتين على الأصل والأفصح إخراج الثانية بين بين^(٩)، فلم يمنع قراءة تحقيق الهمزتين ولكنه عدّ تسهيل الثانية أفصح.

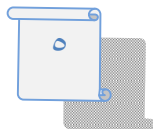
وقال الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ): (وقرأ حمزة: أمة وأكثر للنبيين يذهب إلى أن هالحن؛ لأقربه جلمع بين همزتين في كلمة ولحة^(١٠))، فنقل تلحين النحويين لمن يجمع بين همزتين في كلمة واحدة.

عند تتبع النصوص المذكورة آنفاً نجد أن أصحابها لم يرتضوا قراءة تحقيق الهمزتين، ووقفوا بين رافض ومضعف، ولمعرفة سبب مواقفهم هذه لا بد من التعرّيج على موقف علماء اللغة من تحقيق الهمزتين في كلمة واحدة، ففي كتب اللغة نجد جنور هذه الآراء والمواقف المتشعبة.

مواقف علماء اللغة من تحقيق الهمزتين في كلمة واحدة

قبل الحديث عن موقف علماء اللغة من تحقيق الهمزتين لا بدّ من وقفة سريعة عند صوت الهمزة، وخصائص هذا الصوت. يتصف صوت الهمزة بالثقل، وبصعوبة النطق به، فهو يحتاج من الجهد ما يفوق ما يحتاج إليه أيُّ صوت آخر من الأصوات اللغوية العربية ولذلك اختصت الهمزة بأحكام التخفيف التي تتخذ أشكالاً عدة تهدف جميعها إلى الاقتصاد في الجهد المبذول عند النطق، يقول سيبويه (ت ١٨٠ هـ): (علم أن الهمزة إذا عمل بها هذا من لم يخفها لأنه بعد د مخرجها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد وهي أبعد الحروف مخرجاً، فتثقل عليهم ذلك؛ لأد كالتهوؤ ع)^(١١)، فلم يكتف بوصف صعوبة النطق بها بل علل ذلك، وبيّن أسبابه، وقال ابن جني: (لأنها حرف سفلى في الحلق وبعد عن الحروف وحصل طرفاً، فكان النطق به تكلفاً)^(١٢)، فعد تطرّف صوت الهمزة وبعد مخرجه علةً لثقله.

ولم يقتصر وصف صوت الهمزة بالثقل، وتعليل ذلك على القدماء وحدهم، بل تابعهم في هذا المحدثون الذين جاءت تعليقاتهم أكثر وضوحاً ودقة، يقول الدكتور إبراهيم أنيس -على سبيل التمثيل-: (لا شك أن انحباس الهواء عند المزمار انحباساً تاماً ثم انفراج المزمار فجأة عملية تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر ممّا يجعلنا نعد الهمزة أشق الأصوات، وممّا جعل للهمزة أحكاماً مختلفة)^(١٣)، فصف خروج هذا الصوت وصفاً دقيقاً، وبيّن علة ثقله.



وبسبب صعوبة النطق بهذا الصوت وثقله ((مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منها في النطق))^(١٤)، ولم يقتصر التخلص من الهمز على اللغات السامية الرئيسية، بل نجد آثاره في عدد من اللهجات العربية ولا سيما الحضرية منها^(١٥)، فنجد أهل الحجاز وأهل المدينة والأنصار يميلون إلى التخلص من الهمز فضلاً عن القبائل (غاضرة، وهذيل، وقريش، وكنانة، وسعد بن بكر)، في حين مالت إلى الهمز القبائل (تميم، وتيم الرباب، وغني، وعكل، وأسد، وعقيل، وقيس، وبنو سلامة من أسد)^(١٦) ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن اللغة العربية النموذجية جاءت بالهمزة^(١٧). وباختلاف اللهجات العربية اختلف لقراء في قراءة الألفاظ المهموزة، إذ نجد قارئاً يهزم وآخر يتخلص من الهمزة.

بيّنت أنفاً ثقل صوت الهمزة، وصعوبة النطق به؛ لذا لجأ العرب إلى تخفيفه، لا سيما الحضر منهم، فما بالك إذا ما اجتمعت همزتان؟ من المؤكد أن الثقل عندئذ أكثر، والمشقة أكبر، وقد اختلفت القبائل العربية في طريقة تعاملها مع هذا الجهد المضاعف، والصعوبة المتكررة، فظهرت أحكام عدة للتخفيف، يقول سيبويه: ((فليس من كلام الوب أن تلتقي همزتان فتُحَقَّقَا))^(١٨) فعدّ تحقيق الهمزتين خروجاً عن كلام العرب، وقال بخصوص اجتماع همزتين في كلمة واحدة: ((اعلم أن الهمزتين إذا التقتا في كلمة واحدة لم يكن بُدٌّ من بدل الآخرة))^(١٩)، فإبدال الثانية أمر لا مفر منه بحسب مذهب سيبويه— ولا يجوز سواه، وقد تابعه جمهور البصريين في موقفه هذا^(٢٠).

تُخفف الهمزة الثانية من الهمزتين المتحركتين المجتمعتين في كلمة بإبدالها نصف صامت، ولم ترد من صورها سوى ثلاث حالات هي:^(٢١)

أ . الأولى مفتوحة والثانية مكسورة فتبدل ياءً ، نحوأَيِّمَةٌ أصلها أُدِيمَةٌ .

ب . الأولى مضمومة والثانية مفتوحة، فتبدل واواً ، نُحُوْمٌ : يَدِمٌ ، أصلها أُيِّدِمٌ (تصغير آدم).

ج . الأولى مفتوحة والثانية مضمومة فتبدل واواً ، نُحُوْمٌ أصلها أُوْمٌ .

وما تبقى من حالات تبادل أنواع الحركات ومواقعها هي من قبيل التمرينات الافتراضية^(٢٢). الذي

ههنا الحالة الأولى أعني عندما تكون الهمزة الأولى مفتوحة والثانية مكسورة.

مناقشة آراء المفسرين واللغويين

يذهب الباحث إلى جواز الجمع بين الهمزتين ههنا، بل إلى تفضيل قراءة (أئمة) على قراءة (أئمة) مستنداً بعدد من الأدلة، وهي:

١. هذه المسألة خلافية بين البصريين والكوفيين كما نفهم من النصوص السابقة، ويعضد هذا أن الكسائي رأس المدرسة الكوفية قرأ (أئمة) بتحقيق الهمزتين فضلاً عن عاصم وحمزة (قراء الكوفة). بل إنَّ البصريين أنفسهم لم يستقر رأيهم على رفض اجتماع الهمزتين. فهناك من يوجب إبدال الهمزة الثانية من الهمزتين المتحركتين، وهناك من يوجب جعل الثانية همزة بين بين، حملاً على حكم الهمزة المفردة. ونجد بينهم من يجوز الجمع بين الهمزتين وتحقيقهما، وهو ابن أبي إسحاق الحضرمي^(٢٣)، وأجاز الأخفش (أئمة) بتحقيق الهمزتين، ولم يعترض على تحقيقهما، ولم يعقب عليه^(٢٤). وابن أبي إسحاق والأخفش من أعمدة المدرسة البصرية، وقد وافقهما العكبري وابن الحاجب^(٢٥).

٢. يؤيد السماع ما ذهب إليه مدرسة الكوفة إذ سُمع عن العرب: أئمة، ودرائئ في دريئ، وخطائئ في خطيئة^(٢٦). وثمة استعمالات لهجية في همزتي (أئمة) ونحوها مما تحركت فيه الهمزتان، وهي أئمة بتحقيق الهمزتين معاً، وأئمة بالفصل بينهما بألف، وأئمة بجعل الثانية همزة بين بين لأنَّها متحركة بعد متحرك، فتعامل معاملة الهمزة المفردة، وأئمة بالفصل بين الهمزة الأولى وهمزة بين بين بألف^(٢٧).

٣. لهذه الكلمة خصوصية إذ إنَّ أصلها (أئمة) بهمزة مفتوحة بعدها همزة ساكنة، وذكر العلماء طريقتين لتحويلها إلى (أئمة) لا ثلاثة لهما، وهما^(٢٨):

أ. تقتضي قواعد التخفيف أن يحل صوت الألف محل الهمزة الثانية، وتسكن الميم الأولى وتدغم في الميم الثانية. وتتحوّل الألف إلى ياء. وهذا الرأي مردود؛ لأنَّه عاجز عن تفسير أمور عدة، منها حذف حركة الميم الأولى، إذ لا يجوز نقلها إلى صوت الألف، وحذفها يؤدي إلى النقاء الألف بالميم الساكنة؛ وهذا ممّا لا تميل إليه العربية، فضلاً عن عدم وجود تفسير سليم لقلب الألف ياء؛ لذلك فإنَّ تحقيقتها أولى.

ب. أن يكون الإعلال أسبق من الإدغام وأنَّ الذي حدث نقل الحركة من الميم أولاً لأجل الإدغام فصارت الهمزة الثانية مكسورة ثمَّ أبدلت ياءً؛ لكونها همزة مكسورة بعد همزة مفتوحة، وفي هذا

نظر أيضاً، لأن من ذهب إلى أن الإعلال سابق للتخفيف استدلت بهذه اللفظة فقط، ولم تسعفه اللغة بسواها. ويزاد على ذلك أن ما ينتج عن هذا ياء مكسورة بعدها ميم ساكنة، والياء المكسور ثقيلة، يقول الفراء: ((ويقولون: هذه أجوه حسان بالهمز؛ وذلك لأن ضمة الواو ثقيلة كما كان كسر الياء ثقيلًا))^(٢٩)، ويقول ابن مجاهد: فإذا خُلفت المكسورة بياء مكسورة كانت أثقل من الهمزة، ولم يكونوا ليفروا من ثقيل إلى ما هو أثقل منه.. وابن امتحنت ذلك وجدته كذلك))^(٣٠)، فهل يفر المرء من ثقيل إلى ما هو أثقل؟، إذ تبدل الواو المضمومة والياء المكسورة همزة في عدد من المواضع، وتسكين هذه الياء يؤدي إلى التقائها بالميم الساكنة، زيادة على قول أبي علي الفارسي: ما ذكر (هن أن فاعلاً، وابن كثير، وأبا عمرو قرؤوا بهمز الألف، وبعدها ياء ساكنة غير مستقيم لأن الياء التي بعد ألف هُجَلَة متحركة بالكسر، فكيف تكون ساكنة؟))^(٣١).

وبهذا يتبين ضعف الطريقتين ناهيك عن أن الطريقتين المذكورتين تفسران تحول (أئمة) إلى (أئمة) بتشديد الميم، والمروي عن القراء (أئمة) بميم غير مشددة.

ولم أجد مراعاة لخصوصية هذه اللفظة في غير هذا النص الذي ينقله الطبرسي إذ قال: ((قال علي بن عيسى: إنما جاز اجتماع الهمزتين هنا؛ لئلا يجتمع على الكلمة تغييران: الإدغام والقلب، مع خفة التحقيق؛ لأجل ما بعده من السكون ولي هذا تقول هذا أء م من هذا، بهمزتين. قالوا: نمّا قُلبت الهمزة من (أئمة) حركة ما قبلها؛ لأن الحركة إنما نُقلت من الميم إلى الهمزة لبيان زنة الكلمة، فلو ذهبت بقلبها على ما قبلها لكنت مناقضاً للغرض فيها))^(٣٢)، فكان متفرداً في مراعاته لخصوصية هذه الكلمة وأفلح إلى حد ما في إعطاء تفسيرات جيدة لتحول (أئمة) إلى (أئمة) بالتشديد، ولم يفسر القراءة بميم واحدة.

لاجتماع الهمزتين وجه من القياس ذكره أبو علي الفارسي، ((ووجهه من القياس، أن يقول الهمزة حرف من حروف الحلق، كالعين وغيرها وقد جُمع بينها في نحو لاعة، وكع، وكعة، والفهة، وكذلك في غير هذه الحروف، فكما جاء أن اجتماع العينين كذلك، يجوز اجتماع الهمزتين))^(٣٣). بل نقل السيرافي عن أبي زيد أكثر من هذا إذ قال: ((كان أبو زيد يَجِيزُ إدغام الهمزة في الهمزة، ويحكي ذلك عن العرب، ويقول: اقرباً، يجعلها كسائر الحروف))^(٣٤).

٥. وردت لفظة أئمة في عدد من المعجمات العربية المعتبرة إذ ذكر أصحابها أن جمع إمام:

أئمة^(٣٥).

٦. الذوق اللغوي يميل -عادة- إلى لفظة (أئمة) على حساب (إئمة)، بدليل أننا اليوم نستعمل

اللفظ الأول وتركنا استعمال اللفظ الثاني في لغتنا الفصيحة، وعد الدكتور أحمد مختار عمر لفظة (أئمة) فصيحة مهملة^(٣٦)، فما كانت لتموت لولا كون العرب إلى (أئمة) أميل، وهم بها أنس، وذوقهم فيها أرغب.

٧. قراءة تحقيق الهمزتين التي تحامل عليها البصريون قراءة أربعة من السبعون^١ وبيت عن

الخامس. أمّا ابن كثير، وأبو عمرو ومن معهما فثمة خلاف في وصف قراءتهما إذ نسبت إليهما القراءة بهمزة بين بين، والقراءة بالياء الخالصة ساكنة مرة ومكسورة بكسرة خفيفة مرة أخرى، ولم تثبت لهم إحدى القراءتين نجد الزمخشري يرفض رفضاً قاطعاً أن يُنسب إليهما قراءة الياء الخالصة، إذ يقول: فإن قلت: كيف لفظ أئمة قلت: همزة بعدها همزة بين بين: أي بين مخرج الهمزة والياء، وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وإن لم تكن بمقبولة عند البصريين، ومّا التصريح بالياء فليس بقراءة، ولا يجوز أن تكون قراءة، ومن صرح بهلوف لاحن محرّف^(٣٧)، وقال الرضي الاسترابادي: ((ولم يجيء في القراءة قلب الهمزة الثانية في أئمة ياء صريحة^(٣٨)؛ أمّا القراءة بهمزة بين بين فهي أقل رواية عنهم، كما يتضح في بداية المسألة، وبذلك لم تثبت عن السبعة وغيرهم من القراء سوى قراءة (أئمة).

وبهذا تتجلى بوضوح أفضلية قراءة (أئمة) على قراءة (أئمة) ونحوها مما خُففت فيه ثاني

الهمزتين، فالتحقيق أولى، وبالتحقيق نحن اليوم نقرأ في المشرق العربي الذي شاع فيه المصحف الذي يراعي في رسمه قراءة عاصم برواية حفص، وما كان لهذه القراءة أن تشيع لولا موافقة رسم المصحف الإمام، دقة اختيار المفردات فيها فضلاً عن كونها القراءة التي أخذها عاصم عن أبي عبد الرحمن السلمي، والذي أخذها بدوره عن الإمام علي (عليه السلام)، وأخذها أمير المؤمنين بدوره عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهي أوثق القراءات ندأ، وأصحها متناً.

نتائج البحث

بعد الخوض في قراءات لفظة (أئمة)، ومحاولة سبر أسرارها، وتتبع آراء علماء التفسير والقراءات واللغة فيها، وبعد هذه السفارة الممتعة بين صفحات كتب التفسير والقراءات، وبعد هذه الجولة المثمرة في كتب اللغة، وما لازم كل هذا من إعمال الفكر، وأستحضار الذهن وإِنعام النظر وقف الباحث على مجموعة من النتائج لعلَّ أهمها:

١. تبيّن حجم الخطأ الكبير الذي وقع فيه من ردّ قراءة تحقيق الهمزتين أو ضعّفها وبيّن الباحث مستنداً بأدلة مقننة قراءة التحقيق أولى قراءات هذه الكلمة وأفضلها، وأوثقها سنداً وأصدقها متناً.

٢. سلط الباحث الضوء على موقف البصريين الذين أفلحوا إلى حدّ كبير في وضع قواعد تخفيف الهمزة المفردة بيد أنّهم أخفقوا في وضع قواعد تخفيف الهمزتين المجتمعين في كلمة، ولا سيما لهُم عدوّه تخفيفاً واجباً ما بعد أن سيطرت على أذهانهم فكرة أن الهمزة الواحدة تخفف جوازاً؛ لأنّها ثقيلة، واجتماع الهمزتين أثقل وأشق؛ لذا ينبغي أن تخفف إحداهما وجوباً، متجاهلين اللهجات الفصيحة، والقراءات المتواترة عن قرّاء ثقافتها ورد تحقيقهما معاً فيهما لا يمكن ردّه أو تأويله بجرّهم هذا الحكم إلى تفضيل المفضول على الأفضل. أما الكوفيون فلم تصل إلينا عنهم قواعد واضحة المعالم بيد أن قراءات قرّاء الكوفة تُوحى عمومياً بصحة مذهبهم في هذا الشأن.

٣. قراءة عاصم برواية حفص تمثل القراءة المثلى من جهة الهمز والتخفيف، وتمثل المنهج المعتدل الذي لا يبالغ في تخفيف الهمز أو في همز غير المهوز، أمّا سواه من القراء السبعة فلم يبلغوا منزلته، وهذا ما أشار إليه المستشرق الألماني برجستراسر^(٣٩). ويمكن التأكيد من صحة هذا عن طريق الاطلاع على سمات قراءة كل قارئ من القراء السبعة.

هوامش البحث

- ١ - يُنظر: السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط٤، ١٤٣٠ هـ - ٢٠١٠ م / ٣١٢، والحجة في القراءات السبع، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م / ١٧٣، ومعجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق - سوريا، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م: ٣ / ٣٥١.
- ٢ - يُنظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكين أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مط مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق - سوريا، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م: ١ / ٤٩٩.
- ٣ - يُنظر: النشر القراءات العشر أبو الخير محمد بن محمد دمشقي الشهير أبن الجزري، تقديم الأستاذ علي محمد الضباع، آياتة الشيخ زكريا عميرات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م: ١ / ٢٩٤ - ٤٩٥، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت ١١١٧ هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م / ٧١ - ٧٢.
- ٤ - معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١ هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، شرح أحاديثه الأستاذ جمال الدين محمد، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م: ٤ / ١٥٩ - ١٦٠، وينظر: ٢ / ٣٥١.
- ٥ - إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد إسماعيل بن النحاس (ت ٣٣٨ هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م / ٣٨٢.
- ٦ - الحجة للقراء السبعة أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م: ٢ / ٣١٥.
- ٧ - يُنظر: سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م: ١ / ٨٥، والخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م: ١ / ١٨٢، ٣ / ١٤٣.
- ٨ - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم طفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م: ٨ / ٨٥.
- ٩ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢ هـ) إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت): ٤ / ٤٧.

- ١٠ - فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠ هـ)، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م : ٢ / ٣٨٩.
- ١١ - كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق: د. عبد السلام محمد هارون مطبعت المدني، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م : ٣ / ٥٤٨.
- ١٢ - سر صناعة الإعراب: ١ / ٨٥.
- ١٣ - الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط٤، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م / ٧٨ ويُنظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط٣، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م / ٢٤، وعلم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة - مصر، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م / ٢٨٨، وأثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، أ. د. فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث، أريد - الأردن، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م / ٤٥٥.
- ١٤ - في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، ط٣، ١٣٩٣ هـ - ٢٠٠٢ م / ٦٨.
- ١٥ - يُنظر: لهجة قبيلة تميم أثرها في الجزيرة العربية، د. غالب فاضل المطليبي، الدار العربية للموسوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م / ٨٥.
- ١٦ - يُنظر: اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٨ م / ٣٣٦.
- ١٧ - يُنظر: في اللهجات العربية / ٦٩، وفصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط٦، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م / ٨٣ - ٨٥.
- ١٨ - كتاب سيبويه: ٣ / ٥٤٩.
- ١٩ - المصدر نفسه: ٣ / ٥٥٢ ويُنظر: المقتضب أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة مطبعت الأهرام التجارية، القاهرة - مصر، ط٣، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م : ١ / ٢٩٢، ٢٩٥، وشرح المفصل موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣ هـ)، وضع فهرسه د. عبد الحسين المبارك، عالم الكتب، بيروت - لبنان، (د. ت): ٩ / ١١٦ - ١١٧.
- ٢٠ - يُنظر على سبيل التمثيل: المقتضب: ١ / ٢٩٥، والأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن بن السراج النحوي البغدادي (ت ٣١٦ هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط٤، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م : ٢ / ٤٠٣، والخصائص: ١ / ١٨٢، ٤٣ / ٣، والمفصل في صناعة الإعراب، أبو القاسم الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، تحقيق ودراسة: د. خالد إسماعيل حسان، راجعه: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م / ٤٨٠، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيّين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ت ٥٧٧ هـ)، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف لمحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م : ٢ / ٣٠٦، مسألة (١١٦)،

وشرح المفصل: ٩ / ١١٦ - ١١٧، وشرح الشافية، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت ٦٨٦ هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، (د. ت): ٣ / ٤٠ - ٤١.

٢١ - يُنظر: شرح الشافية: ٣ / ٣٩ - ٤٢، والقراءات القرآنية في كتب معاني القرآن قراءة في التوجيه الصوتي، د. جواد كاظم عناد، الانتشار العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١١ م / ١٩ - ٢٠.

٢٢ - يُنظر للقراءات القرآنية في كتب معاني القرآن قراءة في التوجيه الصوتي / ١٩.

٢٣ - يُنظر: المقتضب: ١ / ٢٩٥، ٢٩٦ ومعاني القرآن وإعرابه: ٢ / ٣٥١، ٤ / ١٥٩، وتهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، مادة (أمم): ٥ / ٤٥٨، والحجة للقراء السبعة: ٢ / ٣١٥.

٢٤ - يُنظر: معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ)، تحقيق: هدى محمود قراعقط المدني، مصر، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م: ١ / ٣٥٥.

٢٥ - يُنظر التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الشام للتراث، بيروت - لبنان، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م: ٢ / ٦٣٧، وشرح الشافية: ٣ / ٣٩.

٢٦ - يُنظر: سر صناعة الإعراب: ٥ / ٤٨٥ والمفصل في صناعة الإعراب / ٤٨٠، وشرح الشافية: ٣ / ٤٢ - ٤٣، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩ هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م: ١ / ١٥٨١.

٢٧ - يُنظر: شرح الشافية: ٣ / ٤٢ - ٤٣.

٢٨ - يُنظر معاني القرآن وإعرابه: ٢ / ٣٥١ وإعراب القرآن / ٣٨٢، ٦٦٨، والحجة للقراء السبعة: ٢ / ٣١١ - ٣١٦، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م: ٥ / ١٦، ومشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب

القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق - سوريا، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م: ١ / ٣٦٠، والوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، تقديم:

د. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م: ٢ / ٤٨٠، والتبيان في إعراب القرآن: ٢ / ٦٣٧ - ٦٣٨، وشرح الأشموني (ت ٩٠٠ هـ) على ألفية ابن مالك، ومعه حاشية الصبار وشرح الشواهد للعيني، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م: ٤ / ٤١٩.

- ٢٩ - معاني القرآن أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م : ٣ / ٢٢٣ ويُنظر: مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرّازي، الملقب بفخر الدين الرّازي (ت ٦٠٦ هـ) إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م : ٣٠ / ٧٦٩.
- ٣٠ - السبعة في القراءات / ١٣٨.
- ٣١ - الحجة للقراء السبعة : ٢ / ٣١٤.
- ٣٢ - مجمع البيان في تفسير القرآن أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، دار نويليس، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م : ٨ / ١٨٢٠ - ١٨٢١.
- ٣٣ - الحجة للقراء السبعة: ٢ / ٣١٦.
- ٣٤ - شرح السيرافي في هامش كتاب سيبويه، هامش (٢): ٣ / ٥٥٠ ويُنظر: شرح المفصل: ٩ / ١٢٠، وشرح الشافية: ٣ / ٤٨.
- ٣٥ - تُنظر مادة (أمم) في: تهذيب اللغة: ١٥ / ٤٥٨ والمحيط في اللغة: ٢ / ٤٨٧، والمصباح المنير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي (ت ٧٧٠ هـ)، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، (د . ت): ١ / ٢٣، والكليلة لأبيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤ هـ)، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، (د . ت) / ١٨٦.
- ٣٦ - يُنظر: معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م / ٤.
- ٣٧ - الكشّاف، أبو القاسم محمود بن عُمَر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي وإحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١٢هـ - ٢٠٠١م: ٢ / ٢٣٨ - ٢٣٩ ويُنظر: الكليات / ١٨٦.
- ٣٨ - شرح الشافية: ٣ / ٤٣.
- ٣٩ - يُنظر التطور النحوي للغات العربية، برجستر اسر، ترجمة د. رمضان عبد التواب للشركة الدولية للطباعة، مصر، ط٤، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م / ٤٢.